

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الانسانية

المرحلة الثالثة

محمد بن عبد الملك الزيات

١٧٣ - ٢٣٣ هـ

المادة: النثر العباسي

تدريسي المادة

م.د. امانى كنعان خضير

2025-2026

سيرته :

هو محمد بن عبد الملك بن أبان بن حمزة ويكنى أبا جعفر، ويُعرف بابن الزيات. كان جده من قرية يقال لها الذكرة القريبة من بغداد . يجلب الزيت من مواضعه ويبيعه في بغداد فغلب هذا التلقب على بيته .

ولد ابن الزيات في بغداد سنة ١٧٣ للهجرة من أصل عربي . ونشأ فيها ، وكان أبوه من الاغنياء الموسرين في بغداد بجانب الكرخ . حثه على التجارة والتعلق بها وملازمتها. ولكنه رفضها وامتنع عنها وأقبل نحو علوم اللغة العربية وآدابها ينهل من ينابيعها حتى نبغ في الشعر والنثر على السواء نقل عن ابنه عمر بن محمد بن عبد الملك أنه قال: كان جدي موسراً من تجار الكرخ وكان يريد من أبي أن يتعلق بالتجارة، ويتشاغل بها، فيمتنع من ذلك ويلزم الادب وطلبه . ويخالط الكتاب . ويلزم الدواوين، فقال له ذات يوم والله ما أرى ما أنت ملازمه ينفعك . وليضرتك ، لأنك تدع عاجل المنفعة، وما أنت فيه مكفي. ولك ولا بيبك فيه مال وجاه، وتطلب الأجل الذي لا تدري كيف تكون فيه . فقال : والله لتعلم أننا ينتفع بما هو فيه، أنا أم أنت ؟ ثم شخص الى الحسن بن سهل يقيم الصلح ، فامتدحته بقصيدة. فأعطاه عشرة آلاف درهم. فعاد بها إلى أبيه . فقال له أبوه : لا ألومك بعدها على ما أنت فيه .

ويبدو أن ابن الزيات لم يكن قانعاً بما حصل عليه من مال ، وإنما كان طامعاً في منصب يتولاه في الدولة. فأقبل على الحسن بن سهل وأنشده :

لم أمتدحك رجاء المال أطلبة لكن لتلبني التحجيل والغررا

وليس ذلك الا أنني رجل لا أطلب الورد حتى أعرف الصدرا

وتحقق له ما أراد . اذ عينه كاتباً بالدواوين . وأخذ نجمه يعلو . واشتهر أمره بين الأدباء والعلماء . فقد ذكر الرواة . أن عثمان المازني لما قدم بغداد في أيام المعتصم . كان أصحابه وجلساؤه يخوضون بين يديه في علم النحو . فاذا اختلفوا فيما يقع فيه الشك يقول لهم أبو عثمان ، ابعثوا الى هذا الفتى الكاتب . يعني محمد بن عبد الملك . فأسألوه واعرفوا جوابه . فيفعلون ويصدر جوابه بالصواب الذي يرتضيه أبو عثمان ويوقفهم عليه .

بقي ابن الزيات يشتغل كاتباً في دواوين الدولة زمن الخليفة المأمون ، ولما ولي المعتصم الخلافة استوزره وأصبح الرجل الأول في دولته لعلمه وذكائه وقدرته على تسيير أمور الحكم ، وحظي بتقدير الناس واحترامهم . ووفد عليه كثير من العلماء والأدباء أمثال أبي تمام والبحثري والجاحظ والحسن بن وهب وحنين بن اسحاق .

ظل ابن الزيات وزيراً في خلافة الواثق ، وكانت بينه وبين قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد منافسة انقلبت فيما بعد إلى جفوة وبغضاء وعدواة وشحناء وتهاج بالشعر ، وكان الواثق قد أمر أن لا يرى أحد من الناس محمد بن عبد الملك الزيات الوزير الا قام له ، فكان ابن أبي دؤاد اذا رآه قام واستقبل القبلية يصلي . فقال ابن الزيات .

صلى الضحى لما استفاد عدواني وأراه ينك بعدها ويصوم لا تعد من عداوة مسمومة تركتك تقعد تارة وتقوم .

وحينما جاء المتوكل إلى الخلافة كان في نفسه شيء منه : لأن ابن الزيات حاول أن يصرف الخلافة عنه إلى ابن الواثق . وقيل كان يتجهم للمتوكل ويغلظ عليه القول استوزره المتوكل أربعين يوماً . ثم قتله مخدوعاً بأقوال ابن أبي دؤاد وغيره من الحاقدين عليه بحجة أنه جمع أموالاً طائلة في أثناء توليه الوزارة .

قضى ابن الزيات تحبه في التنور الذي اتخذته أيام وزارته ، وكان فيه مسامير يُعذب فيه المصادرين وأرباب الدواوين المطلوبين بالأموال، وكان موته سنة ٢٣٣ للهجرة. وقد ندم المتوكل على مقتله. وعلم أن أقوال الوشاة كانت كاذبة وملفقة . وقال لابن أبي دؤاد أطمعتني في باطل. وحملتني على شخص لم أجد عنه عوضاً .

أسلوبه في الكتابة :

كان ابن الزيات عالماً أديباً ، ترك ديوان رسائل ، وديوان شعر ، وقد أشاد به ابراهيم بن المدبر الوزير فقال : « أن محمد بن عبد الملك من ألطف الناس ذهنًا. وأرقهم طبعًا. وأصدقهم حسنًا . وأرشقهم قلمًا، وأملحهم إشارة. اذا قال أصاب . واذا كتب أبلغ . واذا شعر أحسن واذا اختصر أغنى عن الاطالة ووصف أبو عبادة البحتري بلاغته في الكتابة.

ان من أبرز سمات نثر ابن الزيات الایجار في الالفاظ مع الاتساع في المعاني . وحسن اختيار الكلمات الفصيحة ودقة استخدامها في الجمل والعبارات وكأنها حبات منضدة متسقة، مثل قوله : « ان حق الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم . وتقويم أودهم. ورياضة أخلاقهم، وأن يميز بينهم، فيقدم محسنهم ، ويُؤخر مسيئتهم : ليزداد هؤلاء في احسانهم، ويزدجر هؤلاء عن اساءتهم .

كان ابن الزيات معجباً بالاسلوب الفصيح البليغ . فها هو ذا يطرب لسماع قصيدة ، لما تطويه من معنى. وتحويه من بلاغة. وتعلن عنه من فصاحة ، لأبي تمام في مدحه ، فيقول له : " يا أبا تمام : والله انك لتحلي شعرك من جواهر لفظك وبدائع معانيك ما يزيد حسنًا على بهي الجواهر في أجياد الكواعب ، وما يدخر لك من جزيل المكافأة الا يقصر عن شعرك في الموازنة.

ان عزيز علمه، وكثرة محفوظاته. ووافر ثروته اللغوية . وسعة اطلاعه على ثقافة عصره، جعلت الألفاظ تتقاد له والمعاني تطاوعه ببسر وسهولة في كل المواقف . فمن جميل ما وصل إلينا من نثره قوله : ، الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته منطوي القلب على مناصحته. مشعوذ السيف على عدوه : ثم وهب له الظفر، ودوخ له البلاد، وشرذ به العدو وخصه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً ، وبراً وبحراً ، وقوله . . أن الله أوجب لخلفائه على عبادته حق الطاعة والنصيحة . والعبيده على خلفائه بسط العدل والرأفة وإحياء السنن الصالحة ، فاذا أدى كل الى كل حقة كان سبباً لتمام المعونة واتصال الزيادة، واتساق الكلمة . ودوام الألفة ، وقوله : " أفعال الأمير عندنا معسولة كالأمانى ، متصلة كالأيام . ونحن نواتر الشكر لكريم فعله ونواصل الدعاء له مواصلة بره : أنه الناهض بكلتا . والحامل لأعبائنا ، والقائم بما ناب من حقوقنا () ...